مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 1 (رت 70) السنة: 2023

بلاغة الحجاج التداولي في الخطاب القرآني سورة الإسراء- أنموذجا-

rhetoric of pragmatic argumentation in the Quranic discourse Al-Israa as a model

مريم شويط[1]
طالبة دكتوراه جامعة باجي مختار عنابة
meriemchouit91@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/10/17 القبول 2022/11/20 النشر على الخط 2023/01/15
Received 17/10/2021 Accepted 20/11/2022 Published online 15/01/2023

ملخص:

تبين هذه الدراسة بلاغة الحجاج التداولي في عيّنة من الخطاب القرآني وهي سورة الإسراء، من خلال إظهار تفاعل الآليات الحجاجية المستوحاة من التظافر المنهجي للبلاغة و التداولية،وكذلك دورهما في بناء وحدات التعالق المنطقي داخل النظام الخطابي.
يحتاج الخطاب إلى معالجة دقيقة لتحديد العناصر النهائية المنتجة لأيقونة الكلام الراقي و الذي يشترط فيه التوازن المثالي بين حدود التواصل النفسي وإحداثيات الالتقاء الفكري،كونهما العنصران الأساسيان في العملية الخطابية.

الكلمات المفتاحية: بلاغة،حجاج،تداولية،خطاب،سورة الإسراء.

Abstract:

This study demonstrats the rhetoric of the pragmatic argumentation in a sample of the Qur'an discourse ;which is Surat al-Israa,by showing the interaction of the argumentation mechanisms inspired by the systematic convergence of rhetoric and pragmatism,and also its role in building the units of logical interconnection within the discursive system.
discourse needs to be carefully addressed to determine the final elements, that produce the icon of high discourse ;Which requires the ideal balance between the limits of psychological communication and the coordinates of intellectual convergence, being the two main elements in the discursive process.

Keywords rhetoric,argumentation ,pragmatic ,discourse ,surat al-israa

[1] المؤلّف المراسل: **مريم شويط** البريد الإلكتروني: **meriemchouit91@gmail.com**

1. مقدمة:

تتبارى كثير من الدراسات اللغوية داخل منصة التشفير الأفقي لعمليات النمذجة الخطابية للوصول إلى المقوم الأصلي القار داخل الأسس المعنوية وهو الحجاج، الذي شهد سلسلة من النزاعات العملية، وضجيجا فكريا توافقيا اعتُرف بأهميته ورصانته المنطقية في تحديد الاستمالة النفسية والعقلية للبناء الخطابي الراقي.

يعد الحجاج من أكثر القضايا اللغوية التي عرفت اهتماما كبيرا مند القدم، حيث نُسبت بداياته من أيّام أرسطو، وذلك لتميزه بالتقنين المقيّد مطلقا بأسس العقلانية والنماذج المنطقية المبرمجة داخل وحدات التخزين اللفظية المسؤولة عن البناء الخطابي علميا وفنيا، خاصة وأنّ الخطابة تحتاج إلى دراسة علمية دقيقة تجعل من الوحدات الضيّقة داخل التركيب اللغوي تحدد الفعل الجدلي القائم على البرهنة العلمية، وهو ما لم تقتنع به البلاغة خاصة وأنها تُبايع الأثر الفني وتحتفي بدوره في تحقيق الحس الشعوري داخل العملية الخطابية، فاهتمام البلاغة اهتمام لفظيّ فني يقوم على مبدأ التوافقات المقامية و أثرها في النفس، وهو مبدأ طوّرت منه التداولية فيما بعد لتدرس الحجاج بطريقة جديدة تقوم على الغاية الخطابية وهي التواصل، حيث أنّ هذا الأخير لا يمكن توقع إحداثيات التوسع لديه إلا من خلال الدراسة الجادة للمواضع الحجاجية وارتقاء سلمياتها.

إنّ الخطاب القرآني خطاب راقي لأن مفرداته قائمة على مبدأ الارتباط المعنوي ،ليس فقط سياقيا و إنما ذهنيا ونفسيا، وهذا يظهر من خلال تفعيل آليات النشاط الإدراكي الحسي وهو ما يقوم عليه الحجاج التداولي للتأثير بقوة، وقد أخذنا سورة الإسراء عينة لدراسة هذا النوع من الحجاج كونها من السور الغنية بالحجج الربانية الموجَهة خاصة لطائفة الملحدين النافين لوجود الله جلَ جلاله، إلى جانب تحقيق غايتي في إبراز النظام الشامل لعمل الحجاج وفق الآليات التداولية و كذلك النوع التأثيري الحاصل في الجنس الخطابي، ومنه تتبادر إلى أذهاننا الأسئلة التالية: ما هو الحجاج التداولي؟،كيف يشتغل الحجاج التداولي داخل الخطاب؟،كيف تعزز الآليات التداولية دور الحجاج في الاتصال والتأثير؟،من خلال الإجابة على هذه الأسئلة نكون قد أبرزنا في دراستنا الكثير من الجوانب الغامضة والتي تبين العلاقة المثالية التي جمعت الحجاج والتداولية، أيضا نبين بطريقة غير مباشرة مدى اتساع الفائدة العلمية لهذه الآلية وحركيتها داخل الخطابات الراقية، إلى جانب التوافق الحاصل بين جميع العلوم اللغوية ومدى تشابكها فلسفيا وبلاغيا وتداوليا.

2الحجاج التداولي في سورة الإسراء

1.2 مفهوم التداولية:

تعد التداولية من أهم وأبرز المجالات العلمية التواصلية التي شهدت موجة من التعاريف والشروحات المتباينة وكذلك المتوافقة، وذلك لأهمية موضوعها الذي هو اللغة حيث تدرسها "قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية،هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية"[1] ،مما يعني البعد عن المعيارية

[1] بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع،ط1،القاهرة، 2010، ص18

في الجانب العلمي للغة، بالتخلي عن النظرة السكونية للممارسات اللفظية والتطلع أكثر للواقع المتطور الخاص بمختلف السجلات اللغوية المنفتحة على القوانين السياقية والمقامية المحكومة بمبدأ التوافق النسبي بين العوالم الخارجية.

تُعرف التداولية أيضا بأنها" تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محدَّدا صادرا عن متكلم محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد"[1]،أي أنّ التداولية لا تهتم إلاّ بتلك الخطابات المنظّمة والواضحة، والتي يسعى من خلالها المتكلم إلى تحقيق شفافية عالية للرؤى القصدية المناسبة لبناء العمود المركزي للعملية التخاطبية الناجحة، التي تقوم أساسا على مبدأ الاستعمال، وهو مبدأ لا يستهان به في الدرس التداولي، حيث يولي عناية كبرى بأطراف العملية التواصلية من خلال تفعيل مبدأ الحوار ، ليجعلها منهجا قائما بذاته لترجمة الحدود الواقعية المبينة للرؤى الدلالية التي لا تتجلى إلا من خلال الاتصال اللغوي في مقام معين أو سياق خاص يكشف عن نوايا المتخاطبين، وكذلك طرق استخدامهم للعلامات اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، والتي لابد أن تكون عفوية مأخوذة عن نهج سليم الفطرة بعيدة عن أي تكلف أو استنزاف للوقائع اللغوية التي يمكن أن تغير من الوجهة الوصفية للخطاب، والتي قد تعرقل آليات التحليل اللغوي "خاصة وأنّ التداولية تقوم بدراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة"[2]،أي كما عهدتها اللغة الطبيعية التي هي موضوع التداولية ومنطلقها الأساسي.

أسهمت اللغة الطبيعية بأوصافها المرنة في تمدد حبل الدراسات التداولية، فاحتوت توجهات مختلفة، "ففي البدء كانت تُعنى بخصائص استعمال اللغة أي الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص الدلالية والتركيبية، ثم تحولت فيما بعد مع **جون أوستين** (John Austin) إلى دراسة أفعال الكلام إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري"[3]،وهي شروط وتحليلات جاء بها الفيلسوف جرايس (Paul Grice) صاحب نظرية المحادثة، وهو أيضا من ضمن أبرز ثلاثي اهتم بدراسة استعمال اللغة الطبيعية في ظل جملة من السنن ومبادئ التعاون، إضافة إلى منطق التأذب ومراعاة مقتضيات الأحوال بين أطراف العملية التخاطبية.

2.2 مفهوم الخطاب:

يعد الخطاب أيضا من القضايا المهمة التي شهدت ولا تزال تشهد موجة من التغيرات المبلورة داخل البناء المنهجي، القائم على قواعد التحليل المندرجة ضمن قوانين القراءة العمودية للكلام المثْبت فكريا ونفسيا، حيث نجد بداياته من عهد **أفلاطون(Plato)** الذي ساهم في توجيهه توجيها منطقيا قائما أساسا على البُنى التحتية الرابطة لنوايا الكلام العفوي بطريقة العمل المنطقي الصارم، وهو العمل الذي طوّر منه **رينيه ديكارت (René Descartes)** فيما بعد في كتابه (خطاب في المنهج)،حيث جعل التحليل الخطابي يعتمد على المبدأ الديكارتي المعزز للعمليات العقلية بطريقة التفكيك الرياضي الذي يجعل من هذه الدراسة أكثر

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، بيروت، 2005، ص26

[2] المرجع السابق، ص18

[3] عبد الحليم عيسى،المرجعية اللغوية في النظرية التداولية،مجلة دراسات أدبية،الجزائر،العدد الأول،2008،ص11-12

صعوبةً وتعقيدا، وهذا ما لم يأخذ به **هاريس(Zelling Harris)** فيما بعد، حيث تعامل مع الخطاب بطريقة التبسيط القاعدي من جهة، وكذلك طريقة التحليل الموسَع من جهة أخرى، خاصة فيما يتعلق بالدراسة اللسانية التقليدية التي تجعل من الجملة نظاما ضيّق الحدود حيث عرَفه بأنه "ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل[1]، ومن خلال قوله هذا نفهم أنه ينظر إلى الخطاب وكأنه بنية متشابكة تعمل على مبدأ التتابع المحدَّد للمعنى العام للسلسلة الكلامية أو اللغة المشكَّلة داخل سياق معين.

أمّا عن ميشال فوكو فيعتبر الخطاب "وحدة لغوية تتجاوز أبعاد الجملة رسالة أو مقولة"[2]،وهو بهذا يحدّد القالب الشكلي لحدود الخطاب بتمييزه عن الوحدات الأدنى للغة، فيعتبره أكبر وحدة لغوية دالة لأنه في الأصل "شبكة معقّدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب."[3]

ويعرّفه أحمد المتوكل بأنه: "كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة"[4]، صفحة ،هذه الوحدة لها القدرة على التوجيه السليم لمبادئ المحادثة المتعالقة، والتي تتطلب شيئا من الترتيب غير المباشر للمشهد العام الذي تفرزه التداخلات الحوارية، فالخطاب "حوار متبادل بين شخصين على الأقل فهو عملية تلفظية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام وبغير الكلام"[5]

يبقى الخطاب بإذن . يشهد صراعات وتصادمات مفاهيمية، وهذا راجع لاختلاف المناهج المعالِجة والتي تنظر لهذه القضية حسب مرجعيتها العلمية الخاصة.

3.2 الحجاج التداولي:

ليس من الصعب إيجاد نقاط التوافق بين البلاغة والتداولية، فالدراسات التداولية استفادت كثيرا من خطابة أرسطو، حيث وسّعت جزءا كبيرا من مواضيعها وقضاياها خاصة فيما يتعلق بأطراف العملية الخطابية وتأثير ميزاتهم على تطوير الاتصال أو تعطيله،إضافة إلى حركية العمل اللفظي داخل حدود السياق، وكذلك المرجع المؤطّر لتلك العملية، فالدراسات التداولية لم تتوقف عند هذا الحد بل ساهمت من خلال احتكاكها ذاك في تطوير اهتماماتها اللسانية التي تصنَّف أساسا ضمن مباحث بلاغية مهمة خاصة ما يتعلق بموضوع الحجاج الذي "فرض نفسه باعتماد الفعل والتأثير عبر الفعل الكلامي خاصة الحجاج اللساني عند ديكرو، فنظريته تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية"[6] التي يظهر فيها الحجاج كقوة دافعة لتلك الوحدات اللغوية لتوجيه الخطاب وجهة معينة تمكّنه من تحقيق الأهذاف التواصلية.

قبل ظهور نظرية ديكرو في الحجاج كان قد تعهَد القانوني والفيلسوف شاييم بيرلمان بالاضطلاع والعمل على استثمار الموروث البلاغي، حيث "جعل البلاغة تشقُّ طريقها وقد حقّق كتابه الضخم (مصنف في الحجاج) الذي شاركته في تأليفه أولبرخت تيتيكا

---

[1] سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير،المركز الثقافي العربي،ط1،بيروت، 1997، ص17

[2] ابراهيم صحراوي،تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار التنوير،ط2،الجزائر، 2013، ص15

[3] نعمان بوقرة،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة ، معجمية،جدارا للكتاب العالمي،ط1،عمان–الأردن، ص13

[4] أحمد المتوكل،قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص،دار الأمان،الرباط،2001،ص16

[5] خليفة الميساوي،المصطلح اللساني،وتأسيس المفهوم،دار الأمان،ط1،الرباط،2013، ص178

[6] أبو بكر العزاوي،الحجاج في اللغة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته،عالم الكتب الحديث،ط1،الأردن، 2010، ص56

منعطفا في الحقل البلاغي، لقد قام مشروعه على إعلان القطيعة مع التصور الديكارتي للعقل والاستدلال، في هذا السياق يلتقي بيرلمان بثنائية أرسطو التي يقر فيها بأن ثمة مناقشات تتعلق بالعلم وأخرى تتعلق بالبلاغة، فالاستدلال في نظر بيرلمان يمكن أن يكون مقنعا من دون أن يخضع لحساب كما يمكن أن يكون صلبا دون أن يكون علميا"[1]،وهذا يعني أنّ الحجاج الذي يعد وسيلة متينة لإشراك الآخر في الرأي يبتعد كليا عن "ممارسة العنف الإقناعي كما يبتعد عن الإغراء أو البرهنة العلمية"[2]،فهو ليس إقناعا مفروضا، "وهو ما يفترض قطيعة مع التطويع أي التأثير القسري بالمعنى الذي لا يكون فيه التطويع قائما على وسائل الإقناع"[3]، فهو بعيدا عن القوة التي تطغى على الطرف الآخر، مجرد ممارسة للحريات بالإرادة الذاتية.

يعرّف الحجاج بأنه "البرهان أي اقتراح الرأي على الآخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يذعنون له"[4]، حتى يتحقق الهدف الأولي من العملية الخطابية وهو التأثير الناتج عن "موقف تواصلي يتضمن مثل أي موقف من هذا النمط رسالة ومشاركين أي دينامية حقيقية"[5]، وبهذا يكون الحجاج تداوليا حينما يُعنى بالتواصل، لذلك نجد أن نظرية الحجاج تهتم "بدراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة وتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تقدَّم لهم"[6]، وهذا عامل أساسي تهتم به التداولية لإنجاح العملية التواصلية، فالحجاج التداولي "يركز اهتمامه على الجانب التداولي في الخطاب، إذ أن لفظ التداولية يبعث على استحضار نظرية أفعال الكلام في الخطاب ورصدها فيه بغرض إقناع الخطاب الحجاجي، والإحالة على التساؤلات والإشكاليات التي تحيط بالعملية التخاطبية والحجاجي[7]، وقد تناول شكري المبخوت الحجاج بالشرح والتحليل، حيث قال في الحجاج التداولي أنه "علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية فلابد أن تتوفر في الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى(ق2)، لذلك فإن الحجاج مسجَّل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية"[8]، فهو محكوم بشروط ضمنية موجودة في ثنايا الوحدات اللسانية الصمَّاء غير البارزة.

يرتبط الحجاج التداولي باللسانيات التداولية على أساس أن هذا الحجاج مقترن بالسياق من جهة والوظيفة من جهة أخرى، بمعنى أن اللغة تداول سياقي وحجاجي وحواري في علاقة وثيقة بالمقام التواصلي السياقي أي لكل مقام مقال، ويعني الحجاج التداولي دراسة اللغة الإنسانية من وجهة لسانية تداولية، من خلال رصد الروابط والعوامل الحجاجية والتركيز على المواضع الحجاجية واستكشاف أفعال الكلام وتحديد السياقات الإنجازية والبحث عن مختلف الوظائف الحجاجية التداولية التي يؤديها الكلام.

---

[1] فيليب بروطون،الحجاج في التواصل،ترجمة:محمد مشبال و عبد الواحد التهامي،المركز القومي للترجمة و النشر،القاهرة،2013،ص22

[2] المرجع نفسه،ص26

[3] المرجع نفسه،ص33

[4] المرجع نفسه،ص33

[155] المرجع نفسه،ص33

[6] محمود طلحة،تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي،عالم الكتب الحديث،ط1،الأردن، 2012، ص103

[7] هاجر مدقن،آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان،مجلة الأثر،الجزائر،المجلد5،العدد5، 2006، ص174

[8] شكري المبخوت،الحجاج في التداولية ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف حمادي صمود،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس،ص351

1.3.2.آليات الحجاج التداولي في سورة الإسراء:

. الآليات البلاغية:وهي كثيرة ونذكر منها ما وجدناه أكثر تواترا في الآيات الكريمة

أ.الإستعارة:وما أكثر هذه الأداة البلاغية في الخطاب القرآني الذي لا نظير لبلاغته وأساليبه اللغوية الراقية،وسورة الإسراء فيه حجة وبرهان على الصدق المطلق لروحانية آياته وما جاءت به من بشائر ونذائر للناس جميعا، فهي وإن"تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهذافه الحجاجية"[1]، نجدها في الخطاب الرباني تمارس دورها بطريقة المحاججة المثالية التي يظهر فيها الدليل صادما لأي نوايا سفلية قابعة في قعر الكفر.

يقول الله تعالى:{وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا}[2]الاستعارة تظهر في كلمة (محونا) وقد استعملت مجازيا في هذا هذا السياق،حيث عوّضت كلمة محونا عبارة بأكملها لحصول الحجة وإقامة الدليل على الإنسان بالسعي في النهار الذي فيه النور من جهة، وكذلك لمعرفة عدد السنين والحساب من جهة أخرى،فلا ضياع به ولا جهل،ويمكن أن نختصر هذا الكلام كالتالي:

الحجة (محونا آية الليل):النتيجة (السعي في النهار لابتغاء فضل الله)

وفي قوله تعالى أيضا {وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾}[3]، ليس من المعقول أن يكون للذل جناح، وإنما استعيرت الكلمة لتقوم الحجة على الأبناء بضرورة البرّ بالوالدين،فهو أمر لابد منه خاصة وهو من أسباب الرحمة الإلهية والتوفيق في الحياة الدنيا،وهو ما نمثله كالآتي:

الحجة (خفض جناح الذّل):النتيجة (حصول الرحمة)

وفي الآية الكريمة {وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾}[4]

حيث شُبه القلب بشيئ له غطاء وهي حجة لبيان كفرهم وعصيانهم الذي يمنعهم من سماع الحق،لأن في آذانهم ثقلا حتى لو رفعه الله عنهم لتولوا على أدبارهم نفورا، استكبارا منهم وجحدا بنعم الله عليهم.

الحجة الأولى (أكنة على قلوبهم):النتيجة (لن يهتدوا أبدا)

الحجة الثانية (وقر في آذانهم):النتيجة (لن يهتدوا أبدا)

وفي الآية الكريمة {وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾}[1]، تظهر الاستعارة في (مسّكم الضر)،وقد جاءت لإقامة الحجة على المسافرين في البحر، إن هم خافوا من الغرق، من ذا

[1]أبو بكر العزاوي،اللغة والحجاج،العمدة في الطبع،ط1،الدار البيضاء، 2006،ص108

[2]سورة الإسراء الآية 12

[3]الآية24

[4]الآية46

الذي يمسح عن قلوبهم ذلك الخوف ويبدله أمنا وسكينة، وينجيهم من خطر الغرق حتى إذا وصلوا إلى البر أعرضوا فهم إذن للكفر أقرب.

الحجة الأولى (مسكم الضر):النتيجة دعوتم الله

الحجة الثانية (النجاة من البحر):النتيجة (الكفر بالله والإعراض عنه)

ب.الكناية: وهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم[2] وتظهر لنا في الآيات الآتية:

يقول الله تعالى {إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾}[3] ،الكناية في (إخوان الشياطين)،وهي حجة على المبذّرين الذين إذا لم يتوقفوا على الإسراف في جميع أمورهم سواء المادية أو الحسية، سيكونون إخوانا للشياطين وستكون عاقبتهم مماثلة لهم فلا جدال عليهم يوم الحساب، وقد بيّن الله مصيرهم بهذه الحجج التي سنبيّنها كالآتي:

الحجة الأولى (مبذرين):النتيجة (إخوان الشياطين)

الحجة الثانية (الشيطان كافر):النتيجة (المبذّر كافر)

وفي قوله تعالى أيضا{وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾}[4]،وهي كناية عن شدة البخل وعدم التصدّق،حيث شُبّه بخل الشحيح ومنعه بمن تكون يده مغلولة إلى عنقه لا يقدر على العطاء والتصدق، فيكون تشبيها بغاية المبالغة في النهي عن الشح والإمساك، كما شبّه إعطاء المسرف بجميع ما عنده بمن يبسط يده حتى لا يستقر فيها شيئ، وهذا كناية عن الإسراف وفي كليهما تقوم الحجة ببيان هذا التصرف السيئ.

الحجة الأولى (اليد المغلولة إلى العنق):النتيجة(اللوم والحسرة)

الحجة الثانية(البسط الكامل لليد):النتيجة(اللوم والحسرة

ج. **البديع:**

.**الطباق:** هو "الجمع بين متضادين أو معنيين متقابلين في الملفوظات والمطابقة في الكلام مثل الحجاج بين السواد والبياض، الليل والنهار، الحر والبرد"[5]، وسنبيّنه فيما يأتي من آيات: يقول الله تعالى{إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾}[6]،وهي تبيّن أن

---

[1] الآية67

[2] عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها،ج2،الدار الشامية،بيروت،1996،ص135

[3] الآية27

[4] الآية29

[5] أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت–لبنان، 1989، ص16

[6] الآية7

أعمال الإنسان ترجع إليه فيحاسب بها سواء كانت خيرا أم شرا، وقد عزز هذا المعنى الطباق الحجاجي في الكلمتين أحسنتم/أسأتم ويمكن تمثيلهما كالآتي:

الحجة الأولى (الإحسان):النتيجة(خير للنفس)

الحجة الثانية (الإساءة):النتيجة(شرّ للنفس)

وبالتالي فالله جلّ جلاله يبيّن أن أفعال الإنسان ستكون هي الدليل عليه يوم القيامة، حيث ستقوم عليه الحجة بها، وهو ما توضّحه أيضا الآية الآتية:{مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾}[1][29]،حيث تظهر حجاجية الطباق في الكلمتين اهتدى/ضلّ وهي تمثل نفس التركيب الحجاجي السابق:

حجة الهداية: خير للنفس

حجة الضلال: شر للنفس

وفي قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾}[2]حيث يظهر الطباق في يبسط/يقدر، وهو تضاد حجاجي يُبين القدرة الإلهية والحكمة الربانية في العطاء والمنع، فالرزق محكوم بأمر الله لعلمه بأحوال عباده كافة، فهو إذا قتر لم يمنع عنهم وإنما ليقيهم من غيب ضار بهم وبمصيرهم، لذلك لا سبيل لهم للمعارضة أو التذمر لأن هذه الأمور قد تهلك إيمانهم.

أما في الآية الكريمة:{وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾}[3] فتظهر فيها الثنائية الحجاجية الحق/الباطل بطريقة الوصف العام للخطاب القرآني، إذ ترتكز جميع آيات القرآن من بدايته إلى نهايته على هذا التضاد الحجاجي الذي يفسر القضاء الرباني في تسيير الحياتين الدنيا والآخرة،و كيف أنه بهما تستمر الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما ويظهر وعد الله ببيان الحق وضمور الباطل، وهذا فيه تحفيز للمؤمن حتى لا يفتر ولا يضل عن الصراط المستقيم.

وفي قوله أيضا:{قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾}[4]،الطباق في الثنائية لاتجهر/لاتخافت وهو تضاد حجاجي يبين الطريقة الصحيحة لأداء الصلاة، لتكون بذلك حجة لكل مصلي يؤديها بطريقة مختلفة، فالدليل واضح لا خلاف فيه، ويمكن أن نبين حجاجية هذا الطباق كما يلي:

الحجة الأولى: لا تجهر بصلاتك

الحجة الثانية: لا تخافت بصلاتك

---

[1] الآية15

[2] الآية30

[3] الآية81

[4] الآية110

النتيجة:ابتغاء السبيل أي طلب الهداية والرشد

الطباق–إذن– له أهمية كبيرة في عملية الإقناع والتأثير، فهو من المحسنات البديعية المعنوية التي تساهم في توضيح المعنى وتزيده قوة وكذلك حجاجية، فالأشياء بضدها تتَّضح.

.الآليات اللغوية:

أ. الروابط الحجاجية:وهي" المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أنّ الحجاج مؤشَّر له في بنية اللغة نفسها، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، بحيث يمكن أن نذكر منها ما يلي: (بل، لكن، إذن، لاسيما، حتى، ، لأن، بما أن، إذا، الفاء، اللام، كي....."[1]، وتظهر قيمتها في استحداث وظيفتين أساسيتين هما الربط الحجاجي بين القضيتين، وكذلك ترتيب درجاتها حسب قوة وضعف الحجج المعروضة في الخطاب، ومن بين الروابط الحجاجية التي رصدتها في سورة الإسراء ما يلي:

.إذا:

في قوله تعالى{وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾[2]34،في الحقيقة هنالك أكثر من رابط إلى جانب الرابط الحجاجي (إذا) وهما الواو والفاء،وقد زادا من حجاجية المعنى في الآية الكريمة،والتي تؤكّد قوة الله وجبروته أمام الفاسقين الذين إن شاء أهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر،وذلك بمجرد أمر المترفين بالفسوق،وهذه سنّة الله في الكون فما كان لله أن يحاسب عبدا أو يهلكه حتى يبسط له من الدلائل ويبين له من أمور الحياة ما يؤكد وحدانيته وتفرده بالملك والجبروت،ونستطيع أن نمثّل الصور الحجاجية هذه كالآتي:

الحجة الأولى(أمر المترفين):النتيجة(تدمير القرية)

الحجة الثانية(حصول الفسق):النتيجة(تدمير القرية)

وفي قوله أيضا :{قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾}[3]

بيَن الرابط الحجاجي (إذا) قيمة الحجة ودرجتها التداولية في تصويب المعنى المحدد في الفرق بين المؤمن وغير المؤمن، والذي يظهر أساسا في الخشوع جراء الخشية والخوف الكبير لدى المؤمن الحق، ويمكن تمثيلها كالآتي:

الحجة(1):السجود عند الذكر

النتيجة: مؤمن

الحجة(2): عدم السجود عند الذكر

النتيجة: ليس مؤمن

[1] أبو بكر العزاوي،اللغة والحجاج،ص55

[2] الآية16

[3] الآية107

.حتى:

يقول الله{وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾}[1]،الحجة هنا هي بلوغ الأشُدْ، فلا وجوب لمساس مال اليتيم ما دام لم يبلغ بعد، وهذا نهي صريح قوي بقوة الحجة التي أظهر شدتها الرابط الحجاجي (حتى) ومنه نستخلص ما يلي:

الحجة الأولى(بلوغ اليتيم):لا نهي في مساس ماله

الحجة الثانية(عدم بلوغ اليتيم:

نهي وتحريم في مساس ماله

وفي قوله:{وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾}[2]، وهذا يظهر في جدال قريش للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف أنهم تجاوزا حدودهم بكثرة الطلب بإلحاح على النبي الكريم، بأن يأتي لهم بالآيات التي يريدون حتى يؤمنوا بنبوته ورسالته، فقالوا بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا وهي الحجة في هذا السياق التداولي وسنمثلها كالآتي:

الحجة: تفجر لنا من الأرض ينبوع

النتيجة: الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

أما في قوله تعال{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾[3]38، وفيها اشترط الكافرون من أهل قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء ليقرؤوه حتى يحصل بذلك إيمانهم بنبوته:

الحجة:(إنزال كتاب من السماء)

النتيجة:(الإيمان برسالته ونبوته)

ب.العوامل الحجاجية:

وهي"تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية، وهي تضم أدوات من قبيل (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، ما، إلا، وجل أدوات القصر)"[4]، وقد رصدنا في سورة الإسراء العامل الحجاجي(**ما...إلا**) حيث كان أكثرها تواترا وسنوضحه كالآتي: يقول الله{وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا

[1] الآية34

[2] الآية90

[3] الآية93

[4] أبو البقاء الكفوي،الكليات، تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط2،1998،ص50

﴿﴾[1]، بالرغم من الآيات التي كان يبعثها الله للكافرين لتبيّن قدرته وحكمته في الحياة وكذلك نعمه عليهم،إلا أنهم كانوا يقابلون ذلك بالكفر والجحود فجاء سبب المنع من التكذيب والتولي :

الحجة: (التكذيب)

النتيجة:(منع الإرسال)

و في قوله تعالى{وما نرسل بالآيات إلا تخويفا}الآية(59)، وهي بيّنة المعنى ظاهرة المراد إذ أنه في آيات الله التي يبعثها لعباده تخويف وترهيب عسى أن تخضع لها قلوبهم وترجع إلى الله.

الحجة: (إرسال الآيات)

النتيجة:(التخويف)

وفي قوله أيضا{وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا سُولاً"الآية94 فسبب امتناع الكفار عن التصديق بآيات الله ورسالة نبيه هو تعجبهم كون الرسول بشر يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون فالحجة فيها أن الرسول بشر، لذلك امتنعوا عن الإيمان:

الحجة(الرسول بشر)

النتيجة:(الإعراض والكفر)

هذه–إذن– بعض من آليات الحجاج التداولي في سورة الإسراء، وقد ذكرنا فيها ما رأينا أنه أكثر إفادة في دراستنا وما يبيّن أكثر دور الحجاج التداولي في زيادة المعنى اللغوي والبلاغي داخل الآيات الكريمة

4. خاتمة:

من خلال دراستنا لآليات الحجاج التداولي في سورة الإسراء توصلنا إلى النتائج التالية:

1.الحجاج من أهم الوسائل والقضايا اللغوية التي أخذت حيزا كبيرا في الدراسات البلاغية، ومن ثم التداولية وهذا راجع لتكيفها مع الأهذاف الموضوعية لكل دراسة.

2.يحتاج الحجاج إلى إطار خطابي عام يشمل جميع الأنساق بما فيها الأنساق غير اللغوية، أي المقام فله دور كبير في تفعيل الحركة الحجاجية داخل الوحدات اللغوية.

3.يعطي الحجاج بواسطة تقنياته المنطقية وكذلك الحسية، صورة دقيقة للرأي الجاد داخل الخطاب، حيث يساهم في تحديد مسار العملية الخطابية من خلال التحكم في النزاعات والتيارات الفكرية الهشّة.

4.تعتبر الصور البيانية من أكثر الوسائل الحجاجية الفاعلة تداوليا، فهي إلى جانب الخدمة الفنية التي ترسمها في القالب اللغوي وكذلك في الأثر النفسي، تعمل كذلك على التأثير الفكري القوي بالضغط المطلق على الرأي المتوتر وتغيير إحداثياته.

5.سورة الإسراء سورة حجاجية بامتياز فهي إلى جانب ما صوّرناه في دراستنا، تحمل آليات حجاجية كثيرة و متعددة.

[1] الآية59

6.الخطاب القرآني خطاب عقلي وروحي يعمل وفق المحرك الحجاجي ببيان صورته الراقية وطريقته في البناء المثالي تركيبا ومعنا.

7.تستغل التداولية عنصر الحجاج في سبيل تعزيز العملية الاتصالية من خلال تفكيك الحدث الخطابي لمعرفة المقومات الحجاجية اللازمة لفعل التأثير.

8.إن الربط بين ثلاثية الإبداع الخطابي (بلاغة، حجاج، تداولية) لا يمكن أن يصرّح إلا عن العلاقة السلسة فيما بينها، خاصة في مسألة التجاذب العلمي بالتركيز على المحفزات الذهنية القائمة على مبدأ الأخذ والرد بالصورة المنطقية.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم:مصحف حفص العثماني للنشر الإلكتروني

- إبراهيم صحراوي،تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار التنوير،الجزائر، ط 2،2013
- أبو البقاء الكفوي،الكليات، تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2،1998
- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط 1،2006
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط 1، 1989
- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان،الرباط،2001
- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي،شمس للنشر والتوزيع،القاهرة، ط 1،2010
- خليفة الميساوي،المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم،دار الأمان،الرباط،ط 1، 2013
- سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير،المركز الثقافي العربي،بيروت، ط 1،1997
- شكري المبخوت،الحجاج في التداولية ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف حمادي صمود،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس
- عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها،ج2،الدار الشامية،بيروت،1996
- فيليب بروطون،الحجاج في التواصل،ترجمة:محمد مشبال و عبد الواحد التهامي،المركز القومي للترجمة و النشر،القاهرة،2013
- محمود طلحة،تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي،عالم الكتب الحديث،الأردن، ط 1،2012
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1،2005
- نعمان بوقرة،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية،جدارا للكتاب العالمي،عمان–الأردن،ط 1
- المقالات:
- عبد الحليم عيسى،المرجعية اللغوية في النظرية التداولية،مجلة دراسات أدبية،الجزائر،العدد الأول،2008
- هاجر مدقن،آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان،مجلة الأثر،الجزائر،المجلد5،العدد5، 2006